الثقافة ولا يكون وعاءً ثقافيا خالياً من الإحساس . كانت إحدى الصعوبات التى واجهته أن الجو العام الذى عاشه منحاز للحداثة لدرجة أفقدته اتزانه وأشعرته بصعوبة إدراك التيارات الثقافية إدراكا هادئا محايدا : « وأنا فى هذه البيئة الأوروبية العاصفة ، هذه البيئة الحديثة – وما يسود فيها من من جو المدرنزم « يفسد حسن فهمى للأشياء ويحول دون تعرفى حقيقة شخصيتى فى الفن والأدب »[٣] . تلك الشخصية التى لن يدركها إدراكاً صائباً إلا إذا مرر عليها ورواها بتراث الغرب فى مراحله التاريخية لتختار ما يتناسب معها أو ترفضه كله أو ترى فيه رأيا جديدا . وتراث الغرب يبدأ من اليونانيين ؛ فقرأ سوفوكليس ويوربيدس وايسجيلوس وقرأ الإلياذة وملاهى أرسطوفانيس ، واستمع إلى الأوبر والموسيقى وميز بين المليودى والهارمونى وبين التخت والأوركسترا، وبين فن إثارة الغرائز وفن الارتقاء بالمشاعر . وفى طريقه للقراءة والتعلم لجأ إلى كل الوسائل الممكنة لتحقيق ذلك وهى القراءة والمشاهدة والاستماع . وقد أتاحت الحياة فى باريس أن يرى الحكيم كيف يرتفع الإنسان بالأدب وكيف ينتهى حين التقى وتعرف إلى الشاعر البارناسى العجوز الذى انتهى به الحال إلى التسول « ولقد أرانى نسخة من الطبعة الأولى صدرت منذ نصف قرن ، وقصاصات من نقد ذلك العهد تنعته بأنه من أركان «مذهب البارناس » ! . . ولكن الشعر لا يستطيع أن يقيم أود